



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية
الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات
يناير ٢٠١٦

أعزائي الأحباء،

سلام ونعمة،

لقد بلغنا الآن الدرجة الثامنة من كتاب "السلم إلى الله" – في التحرر من الغضب والوداعة – وتعني أنه يجب علينا ترك الغضب الذي يستعبدنا لكيما نتحرر ونحاكي رقة ووداعة ربنا يسوع المسيح.

"طُوبَى لِلُّوَدَعَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَرْتُونَ الْأَرْضَ" (مت ٥: ٥) عندما أتأمل الموعظة على الجبل، أتعجب من محبة أيينا السماوي تجاه أولاده. فكونه الله، كل ما عليه أن يفعل هو أن يأمر وعلينا أن نطيع، ولكن لأن طُرقه ليست كطُرُقنا، فهو لم يأمر، ولكنه أعطانا ابنه كمثل حي لكل ما طلب منا أن نفعله، بل وأكثر من هذا فإنه يسبغ علينا بالنعمة عندما نتبع مثال ربنا.

حياتنا في مجتمع رهباني يُقصد به أن يكون مصدر بركتنا. لو كنا أمناء في جهادنا، فإنه من خلال مجتمعنا هذا سوف يُقدسنا الله ويساعدنا على التحرر من أهوائنا. "كما أن حجراً حاد الزوايا مضرساً، إذ يصادم حجارة أخرى ويقارعها ويتقلب معها، تتفتت كافة حدة زواياه، وتزول صلابته ويصير مدوراً، هكذا النفس الجافية إذ تختلط بأناس صعبة وحادة أخلاقهم، وتقيم معهم في شركة، من شأنها أن تواجه أحد أمرين: إما أن تُشفى من تلقاء صبرها جرحها، وإما أن تنسحب فتتعرف تماماً على ضعفها، إذ يُظهر لها هربها جبانتها كما في مرآة"^(١).

"الوداعة حالة راسخة للنفس، تبقى فيها غير متأثرة سواء بالخبر الطيب أم بالخبر الرديء، سواء بالإهانات أم بالكرامات"^(٢).

أنا القديسة مريم كانت مثال رائع للوداعة. عندما أُختيرت في سن صغيرة لتكون أمّاً لله، لم يدخلها الكبرياء ولكن ظلّت هادئة رقيقة. كانت القديسة مريم تجيب بهدوء وإيمان في كل الأمور عكس أولئك المُستعبدين من رغباتهم، كانت أمنا القديسة دائماً ما تضع احتياجات الآخرين قبل احتياجاتها الخاصة. إذاً فالبشارة لم تدفعها إلى إنفعال جامح أو أناني، وإنما أثار رغبتها لترتحل من أجل آخرين في حاجة إلى الخدمة. وعلى نفس المنوال، فالقديسة أليصابات، وبالرغم أنها متقدمة في السن وزوجة لكاهن الله العليّ، لم تحسد الصبية الصغيرة، القديسة مريم، على نوال الشرف الأعظم، بل قالت لها بكل وداعة: "فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِي أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟" (لو ١: ٤٣).

(١) السلم إلى الله – القديس يوحنا الدرجي – الدرجة الثامنة – في التحرر من الغضب والوداعة ص ١٥٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٥١.

يقول القديس يوحنا الدرّجي: "ابتداء طول الروح السعيد هو اقتبال الإهانات بمرارة نفس وحزن قلب. ووسطه هو البقاء بلا اغتمام. وكماله، وإن كان ممكناً، هو احتسابها كأنها مديح وكرامة"^(٣).

وهذا يذكرني بقصة القديس موسى القوي – عندما سُئِلَ ما إذا كان قد تأثر بالإهانات التي وُجّهت إليه في المجلس الذي انعقد في الإسقيط، فأجاب: "الحق إني اضطربت ولكني لم أتكلّم شيئاً"^(٤).

إذن يا أحبائي، دعونا نتحلّى بالشجاعة، إذ أننا غير مُطالّيين ببلوغ الكمال في بداية خوضنا للتجارب، ولكننا مُطالّيين بالجهاد والسعي نحو الكمال وبنعمة الله، هو يمنحنا النُصرة في الوقت المناسب. لو أننا، من خلال الصلاة الصادقة، دَعَوْنَا الثالوث القدوس ليعيننا في كل مرة نشعر أن أهواءنا تتحرك في داخلنا، فيقيناً سوف نَخْلُص من الكثير من الخطايا، لأن "الغضوب هو مثل الذئب الذي يزعم غالباً القطيع كله ويضر نفوساً كثيرة ويثبّط همّتها"^(٥).

تأمّل جهاد القديسين الطويل وحرهم الدائمة ضد الشر – داود المرتل – كانت لديه العديد من المناسبات التي كان من الممكن أن يُسيء التعامل فيها، ولكنه كان يعيش وكأنه دائماً في حضرة الله المنظور. لذلك، وحتى يومنا هذا، نحن نعيش بكلمات تسابيحهم. "الذين يريدون أن ينضموا إلينا في الرب، عليهم أن يدخلوا هذه المحكمة الروحية – لكي نفحص معاً ما يختص بالالام المتقدم ذكرها وبأسبابها"^(٦).

تذكروا يا أحبائي أن "عَضَبَ الْإِنْسَانَ لَا يَصْنَعُ بِرَّ اللَّهِ". (يع ٢٠:١) وأننا نستطيع في كل مناسبة أن نُغَيِّرَ منظورنا لكيما نسلك بالفضيلة، وعندها نعتلي السُّلْم الذي يحدثنا عنه الدرّجي.

بخلاف ذلك سنكون مثل "رَجُلًا نَاطِرًا وَجَهَ خِلْقَتِهِ فِي مِرَاةٍ، فَإِنَّهُ نَظَرَ ذَاتَهُ وَمَضَى، وَلِلْوَقْتِ نَسِيَ مَا هُوَ" (يع ٢٣:١، ٢٤)، ونظل في حالة من الركود، نمضي الوقت في الدير باطلاً.

"على الدرجة الثامنة من السُّلْم، قد وُضِعَ إكليل التحرر من الغضب، فمن لبسه من طبيعته فربما لا يلبس غيره، ومن لبسه من أعراقه، فقد ارتقى كلاً من الدرجات السبع الأخرى"^(٧).

أتمنى لكم عاماً جديداً سعيداً وعيد ميلاد مبارك.

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله دائماً آمين.

(٣) السلم إلى الله – القديس يوحنا الدرّجي – الدرجة الثامنة – في التحرر من الغضب والوداعة ص ١٥٦.

(٤) بستان الرهبان - مطرانية بني سويف - الطبعة الثامنة - القديس موسى الأسود ص ٧٣.

(٥) السلم إلى الله – القديس يوحنا الدرّجي – الدرجة الثامنة – في التحرر من الغضب والوداعة ص ١٥٥.

(٦) المرجع السابق ص ١٥٧. (٧) المرجع السابق ص ١٥٨.